## رعاية الأيتام.. عنوان للرحمة



شاءت إرادة ا□ أن يُولد رسولنا العظيم محمّد (صلى ا□ عليه وآله سلم) يتيما ً؛ ليتولى ا□ الكريم تربيته بنفسه، لذلك قال (صلى ا□ عليه وآله سلم) عن نفسه: «أدبني ربّي فأحسن تأديبي» فإذا كان المؤد َب هو ا□، والمؤد َب هو رسول ا□، والواسطة هو جبريل الأمين (عليه السلام)، فإنّها لكمالات. و ُل َد َ النبيّ (صلى ا□ عليه وآله سلم) يتيما ً كي يكون باعثا ً لنا لنكرّ م اليتيم، كما قال رسول ا□ (صلى ا□ عليه وآله سلم): «أنا وكاف ل ُ اليتيم في الجنّة َ ك َهاتين َ»، وأشار َ بأ ُصبُ ع َيه َ يعني: السّبّ ابة َ والوسط َى. إنّ اليتيم هو م َن مات أبوه وهو صغير.. اليتيم هو الشخص الضعيف الذي ف َق َد َ مصدر الأمن والحنان والحماية.. فقد نظرة الرحمة الحانية من أبيه أو أ ُمّه.

جاء الإسلام ليرعى اليتيم ويؤسّس حقوقه قبل العالم بأربعة عشر قرنا ً، ويحث ّ الناس على كفالته، ورعايته عاطفيا ً ووجدانيا ً، حتى ينشأ سوي ّا ً وم ُحبّا ً للخير، وقد عظ ّ َم ا أ ُ شأنه، وجعل له مكانة كبيرة في الإسلام، ومن تكريم ا أله أنه حينما يبكي يهتز لبكائه عرش الرحمن، ويقول ا ألل حينها: «م َن الذي أبكى هذا الغلام الذي غيبت أباه في التراب». وجعل الرسول الكريم (صلى ا العليه وآله وسلم) خير بيت في المسلمين؛ بيت فيه يتيم ي ُحسن إليه، فإن ّ خير البيوت بعد بيوت ا الهي البيوت التي فيها يتامى ي ُحسن إليه، وأمراض القلوب، في المسح على رأس اليتيم، وإطعام يتامى ي ُحسن إليهم... وجعل ا علاج قسوة القلب وأمراض القلوب، في المسح على رأس اليتيم، وإطعام المسكين، فقد جاء رجل إلى النبي ّ (صلى ا عليه وآله وسلم) يشتكي من قسوة قلبه، فوصف له النبي ّ العظيم الدواء الناجع بقوله (صلى ا عليه وآله وسلم): «امسح رأس اليتيم واطعم المسكين».

وقد حفل القرآن بآيات عديدة عن اليتيم، تخطت عشرين آية، منها قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَن ِ الْيَتَامَى قُلُ ْ إِصْلاَح ُ لِّهَم ْ خَيْر ٌ وَ إِن ْ تُخَال ِطُوهُم ْ فَإِ خْوَ انْكُمْ وَا∏ٍ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) (البقرة/ 220)، وقال سبحانه: (وَأَن تَقَوْمُوا ْ ل ِلْ يَتَامَى بِالْ قِسْ طِ وَمَا تَفْ عَلْهُوا ْ مِن ْ خَيْرٍ فَإِن َّ َالَّ كَانَ بِهِ عَلْيِما ً) (النِّيساء/ 127)، وقال جلَّ جلاله: (يـَسْأَ َلـُونـَكَ مَاذ َا يـُنْفِقـُون َ قـُلْ ْ مـَآ أَ نـْفـَقـْتـُم ْ مِّينْ خَيْرٍ فَلَلِلْهُوَاللَّدَيْنِ وَالأَوْرَبِينَ وَاللَّيَتَامَى وَالدَّمَسَاكَيِينَ وَابْنِ السَّبَيلَـ وَمَا تَفَعْلَلُوا ْ مِن ْ خَيْرٍ فَإِنَّ ا∐َ بِهِ عَلَيِمٍ ْ) (البقرة/ 215)، وقال تعالى: (وَ َاعْبُدُوا ْ ا□َ وَلاَ تُشْرِكُوا ْ بِهِ شَيْئَا ً وَبِالْ ْوَ الدِدَيْنِ إِحْسَانا ً وَبِذِي الْ ْقْاُر ْ باَى وَ الْ ْياَتَاْماَى وَ الْ ْمَسَاكَ ِينِ ِ) (النِّيساء/ 36)، وكذَّلك قوله عُزَّوجُلَّ: (كَلاَّ بأَل لاَّ َ تُكَّرِمُونَ الْيَتَيِمَ) (الفجر/ 17)، وقال عزَّ مَن قائل: (فَأَ مَّاَ الْيَتَيِمَ فَلاَ تَقَّهَرْ) (الضحي/ 9)، وقوله تعالى: (وَيهُطْع ِمهُونَ الطَّعَامَ عَلَي حُبِّيه ِ مِسْكَيِناً وَيتَيمااً و َ أُ َس ِيرا ً ) (الإنسان/ 8).. لقد جاءت الرؤية القرآنية لتؤكد أنَّ كفالة اليتيم ورعايته وصيانته والقيام على أُ موره من أعظم أبواب الخير والبرِّ والرحمة، والناظر المدقق في الآيات السابقة يلحظ أنَّ ا□ تعالى قد عطف بحرف (الواو) ليفيد مطلق الجمع بين المتعاطفين، وكأنَّ الإحسان إلى الوالدين وذي القربي واليتامي... إلخ من عبادة ا□ عز ّوجل ّ، ولا ي َق ِل ّ عنها بل يأتي بعدها مباشرة. وإذا كانت الرؤية القرآنية قد حفزت النفوس والهمم على كفالة اليتيم، وصيانته، ورعايته، وتحقيق أمنه بمعناه الشامل، فإنسّها في الوقت نفسه، حذرت من إيذائه بأي صورة من صور الإيذاء، سواء أكان حسيا ً أم معنويا ً.. مباشرا ً أم غير مباشر ٍ.. بالقول أو بالفعل.. بصريح العبارة أو كنايتها.. يقول تعالى: (فَاأَ مِّاَا الـْيِنَيِمِ َ فَ َلا تَقَّهِ َرِ°) وحذرت من إيذائه في ماله وهو الضعيف الذي لا يقوى على حمايته؛ بل جعلت الاعتداء على أموالهم خطَّاً أحمر، يستوجب العقاب الشديد في الدنيا والآخرة، (إِن "َ السَّذِينَ يَأْ كُلُلُونَ أَمْوَالَ الْيتَتَامَى ظُلُلْما ً إِنَّمَا يَأْ كُلُلُونَ فِي بُطُونِهِم ° نَاراً وَسَيَص ْلَو ْنَ سَعِيراً) (النِّساء/ 10).